

صفحة من تاريخ

## استيطان العرب لمصر

للدكتور حسن إبراهيم حسن

أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب

—&gt;&gt;&gt;&lt;&lt;&lt;—

كان العرب في مصر جلدتهم من الجند المقاتلة وقت الفتح ، ولم يزد عددهم على ستة عشر ألفاً في هذا الوقت . ولم تكن سياسة الخلفاء الراشدين تسمح بتزول الجند في ريف مصر بقصد إقطاعهم الأراضي حتى لا يصرفهم ذلك عن الجهاد . وزاد عدد الجند العرب في مصر فبلغ أربعين ألفاً في عهد معاوية بن أبي سفيان ولا شك أن هذا العدد أخذ يزداد بازدياد المنصر العربي في مصر ، وهذا نتيجة طبيعية لما كان من لحاق نساء الأجناد وأولادهم للإقامة معهم في هذا البلد ، واتخاذهم إياه وطناً جديداً ، وما كان أيضاً من التزاوج والاندماج في سكان البلاد الأصليين . ولعل العرب لم يفظنوا لأمر إحلال الكتابب بعضهم محل بعض في الأقاليم الإسلامية ، اللهم إلا ما كان من تناوب الأجناد الإقامة في الثغور كل ستة أشهر . وليس لدينا من المعلومات التاريخية ما يثبت أن قاعدة استبدال الكتابب في الولايات كانت معروفة عند غير العرب كالرومان والفرس . بيد أن عدم احتمال هذا الأمر أقرب إلينا من جواز احتماله لما كان يتطلبه من كثرة الأسفار

غير أن العرب في مصر — على الرغم من زيادة عددهم كما بينا — كانوا في أوائل القرن الثاني للهجرة . من القلة بحيث رأى عبيد الله بن الحبحاب عامل الخراج على مصر أن يشير على الخليفة هشام بن عبد الملك أن يأذن له في إسكان العرب من قيس في أرض الحوف الشرقي ، وأكد للخليفة أن تزولهم لا يبصر بسكان البلاد . وكان يقيم في هذه الكورة نفر يسير من جديلة نزلت قيس جهة بلبس . وسرعان ما قارب عددهم خمسة آلاف ، وأخذوا يستثمرون الأرض ويتجرون في الإبل والخيل ، وكانوا يحملون عليها غلات أرضهم إلى القلزم حيث تشحن إلى بلاد العرب . هذا وقد كان لقيس<sup>(١)</sup> ضلع كبير في الفتن التي

(١) قال السكدي (ص ٩٥ — ٩٦) : إن قيساً قامت في وجه مروان ابن محمد آخر خلفاء بني أمية حين جاء إلى مصر هارباً من وجه العباسيين =

أقامها المصريون في وجه الولاة حين هموا بزيادة الخراج<sup>(١)</sup> ولقد وفدت القبائل العربية على مصر تدريجياً ، فجاءت قبيلة الكثر من ربيعة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري فأقاموا في الصعيد ، واندمجوا في السكان بالمصاهرة ، وكانت لهم ضلع في الثورات والفتن التي قامت بمصر وعلى الأخص في أواخر عهد الفاطميين إذ ناروا على صلاح الدين الأيوبي بعد أن تولى الوزارة بقليل

على أن اندماج العرب بالمصريين اندماجاً فعلياً لم يتم إلا بعد أن أسقط المتصم العرب من الديوان ، وأحل مكانهم جنداً من الأتراك ، فانتشر العرب في الريف واحترفوا الزراعة وغيرها طلباً للرزق ؛ وازداد اندماجهم في السكان بالمصاهرة ، ومن ثم أخذ التمييز العربي يتلاشى شيئاً فشيئاً ، وبدأ ظل الولاة من العرب يزول باحلال الولاة من الأتراك محلهم ؛ ولم يحكم مصر بعد ذلك عربياً إلا إذا استثنينا عنبسة بن اسحق (٢٣٨ — ٢٤٢ هـ) والخلفاء الفاطميين

تم فتح مصر على أيدي جنود العرب ، ولم يشأ عمر أن يقطعهم أرضها ليكونوا على أهبة الاستعداد لتلبية نداء الجهاد وفتح البلاد المجاورة لمصر لتأمين مصر نفسها وليستقر بذلك سلطان العرب فيها . وقد فتح العرب في ولاية عمرو بن العاص الأولى بلاد برقة سنة إحدى وعشرين للهجرة وطراباس في السنة التالية وغزوا إفريقية سنة ٢٧ هـ تحت قيادة عبد الله بن سعد (٢٥ — ٣٥ هـ) وإلى مصر إذ ذاك ، وهزموا الروم في هذه البلاد وقتلوا ملكهم ، وخربوا قاعدة ملكه وتوغلوا في بلاد إفريقية وصالحوا أهلها<sup>(٢)</sup> ، وغزوا بلاد التوبة سنة ٣١ هـ حتى وصلوا دقنة ، وفي هذه السنة اشتبك الأسطول المصري مع أسطول الروم فاتصر الأول في واقعة ذات الصواري ، ثم غزوا طرابلس مرة أخرى في ولاية عمرو بن العاص الثانية

ويظهر لنا أن هذه الغزوات لم يكن القصد منها الاستعمار لهذه البلاد وإدخالها في حوزة العرب كما كانت الحال بالنسبة إلى مصر ، وإنما كان قصد الخلفاء وولاتهم على مصر القيام بها لتأوين

= وقال القرظي (المخطوط ج ٢ ص ٨) : إن قيساً هذه مالات مروان

(١) أنظر السكدي ص ٢٦ والمخطوط للقرظي ج ١ ص ٨٠ — ٨١

(٢) قبل إن أهل إفريقية صالحوا عبد الله بن سعد على ٢١٥٠٠٠٠٠ دينار ثم شرطوا له بعد أن توغلت جنوده في داخل البلاد ٣٠٠ قطاراً من

الذهب على أن يخرج من بلادهم ففعل بعد أن أقام المسلمون سنة وثلاثة أشهر